جوانب من الحركة العلمية والثقافية في حاضرة فاس خلال العهد المريني (٦٤٦ – ٨٦٩هـ / ١٢٤٨ – ١٤٦٥م)

د. فؤاد طوهارة□

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية / جامعة ٨ ماي ١٩٤٥ / الجزائر□

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز ماشهده المغرب الأقصى خلال العهد المريني من حركة راقية ونشاط متميز في مجال الفكر والثقافة والعلوم يعكس درجة الوعي السياسي والأخلاقي الذي وصل إليه خلفاء الدولة ، بما خصصوه من عناية فائقة ورعاية دائمة لفئة العلماء والفقهاء ، وما بذلوه من جهود مضنية في إقامة المؤسسات والمعاهد الدينية والتعليمية ، ومخاطبة أهل العلم والفقه من مختلف حواضر العالم الإسلامي لإستقدامهم إلى حاضرة فاس ، كل ذلك كان له تأثير إيجابي في عقد المجالس العلمية و تفعيل المناظرات الفقهية والأدبية وتنشيط الحركة التعليمية بشكل خاص مع زيادة في الانتاج الفكري والثقافي .

الكلمات المفتاحية : الحركة العلمية ؛الثقافة ؛ فاس؛ المغرب الإسلامي؛ العهد المريني

Title Aspects of scientific and cultural movement in the Fez During the Mariniera (633-962 H /1235-1554 m)

Dr. Fouad Tohara

College of Humanities and Social Sciences May 8, 1945 Algeria

Abstract

Fez emerged as cultural capital during the Islamic era, where its distinct activity appeared in the field of thought, culture and science,thanks to the sultans of the State, I took care of a lot of scientists and scholars, and made great efforts in building institutions and religious institutes Tutorials, and contacting scientists and scholars from various countries of the Islamic world to come to fas, all these factors had a positive impact in holding scientific boards and activate the debates and stimulate production and educational cultural and intellectual.

Key words: Aspects of scientific; culture ;Fez ; Islamic Maghreb ; Marini era

المقدمة

لم تكن فاسمجرد عاصمة سياسية للدولة المرينية فحسب، بل إشتهرت في الغرب الإسلامي كحاضرة علمية وثقافية إستوطنها كبار العلماء والفقهاء من مختلف دول العالم ، واحتضنت عددا من المراكز والمؤسسات الدينية والعلمية ، وبلغت درجة كبيرة من الرقي والتطور الفكري والثقافي ، مما جعلها تتبوأ مكانة متميزة منافسةً بذلك مختلف حواضر الغرب الإسلامي.

والاشكالية التي تطرح في هذا الموضوع :إلى أي مدى ساهم سلاطين الدولة المرينية في تفعيل الحركة العلمية والثقافية في حاضرة فاس ؟ وفيما تجسدت ميادينها ؟ وتندرج ضمن هذه الاشكالية بعض التساؤلات الهامة :

هل نجح سلاطين بني مرين في احتضان العلماء والفقهاء وتشجيعهم على الحراك الثقافي في حاضرة فاس ؟ وهل كان دور المؤسسات التعليمة والمعاهد الدينية مقتصرا على التدريس والفتية فقط؟ فيما تبلور النشاط العلمي والثقافي بحاضرة فاس ؟ وما هي ميادينه ؟

أولا : رعاية الدولة المرينية للعلم والعلماء

إنفردت حاضرة فاس بمكانة علمية وثقافية متميزة من بين مدن وحواضر المغرب الأقصى ، ويعود ذلك بالدرجة الأولى إلى النزعة العلمية والثقافية التي إنفرد بها سلاطين بني مرين ، إذ كانت لهم الإرادة القوية والرغبة الشديدة في الرعاية الدائمة للفنون والآداب والعلوم الشرعية ، وعنايتهم المستمرة بالعلم والعلماء، وهي سمة غالبة على أكثر سلاطينهم ، يصفهم الكتّاني[1] بقوله :

« كانوامن أحسن الملوك سيرةً ونباهةً ، وكان فيهم الفقهاء الملازمون لمجالسة العلماء ، ولذلك إستفحل ملكهم ، وطالت دولتهم ، وعضمت صولتهم ، فكانوا مقرًا للعلوم والأخبار ومحل إجتماع دائرة العلم الذي عليه المدار » .

ومن مظاهر العناية بالعلماء تلك المجالس العلمية التي حرص سلاطين بني مرين على إقامتها للمناظرة والمحاضرة ، ومطارحة الأدباء ومحاورة الشعراء [٢] لأن من بينهم من كان فقيهًا وشاعرا ، كالسلطان أبي الحسن المريني (٧٣١ – ٧٥٢ هـ/ ١٣٣١–١٣٥١ م) الذي كان شغوفًا في البحث عن العلماء وتقريبهم إلى مجلسه ومحاورتهم ومشاركتهم في مختلف المواضيع[٣]، يصفه إبن مرزوق[٤]بقوله : « وكان أبّر الناس بأهل العلم وأعرفهم بقدرهم إستخلصهم لنفسه ، وجمع من سائر بلاده في حضرته إذا سمع بمن له رسوخ قدم في العلم أقدمه على حضرته ، وجعله من خواص أهل مجلسه وأجرى عليهم الجرايات التي تكفيهم حضرا وسفرًا، فإجتمع بحضرته أعلام ، ثم ضمّ لهم من كان بتلمسان وأحوازها ، حتّى إستيلائه عليها»، وكان السلطان أبو عنان المريني (٧٥٢– ٧٥٩ هـ/ ١٣٥١–١٣٥٧ م) « فقيهًا يناظر فيه العلماء الجلّة ، وكان عارفًا بالمنطق وأصول الدين ، وله حظ صالح من العربية والحساب ، وكان حافظًا للقرآن عارفًا بناسخه ومنسوخه ، حافظا للحديث عارفًا برجاله فصيح القلم ،كاتبًا بليغًا، حسن التوقيع ، شاعرًا مجيدًا...وكانت له رحمه الله آثار دينية من بناء المدارس والزوايا»[٥] .

وقد شهد البلاط المريني في عهده أعظم مجالس العلم التي شهدتها الدولة المرينية ، حيث إحتضن حشدا من العلماء والفقهاء ، لا يحصى عددهم ويكفي للتعبير عن كثرتهم أن عدد من إستشهد من علماء ذلك البلاط عند رحيل أبي الحسن من إفريقية كان أربعمائة عالم ، فكيف بأعداد العلماء الآخرين الذين نجوا من الكارثة .[٦]

علاوةً على ذلك فقد شجّع سلاطين بني مرين العلماء على الكتابة والتأليف ، وأجزلوا لهم الهبات والعطايا على مؤلفاتهم وإختراعاتهم تشجيعًا للإنتاج العلمي والأدبي ، ومن أمثلة ذلك أنّ الفقيه أبا عبد الله بن أبي زكرياء العزفي أهدى السلطان أبي الحسن كتابًا ألّفه في ذم الخمر وبيان عيوبها ، فأستحسنه السلطان وأمر أن يوضع الكتاب في كفّة ، والدراهم في الكفّة الأخرى، ونفس السلطان أهدى إليه أبو عبد الله محمد بن إبراهيم إبن السبيل التعاليمي إسطرلاباً ، صنعه بنفسه فمنحه السلطان مثل وزنه دنانيرًا من الذهب .[٧]

وإحترامًا لمكانة العلماء ودورهم في الحياة الفكرية والدينية ، فقد نالوا تقدير سلاطين بني مرين في حياتهم وبعد موتهم ، ومن أمثلة ذلك الزيارة التي داوم عليها أبو الحسن المريني لقبر الوليّ الصالح أبي مدين شعيب كلّ يوم أربعاء من كل أسبوع[٨] ، ويذكر الكتاني مشاركة السلطان أبو العباس أحمد بن أبي سالم وحضوره جنازة الصوفي إبن عاشر ، الذي كان عند أهل فاس بمثابة الشافعي عند المصريين[٩] أما أبا عنان المريني فقد قام بتجديد قبر الولي الصالح والشيخ العالم أبو ميمونة دراس بن إسماعيل وجعل على قبره رخامة منقوشة بإسمه وتاريخ وفاته ونصبت عند رأسه في أول سنة (٧٥٧ هـ/ ١٣٥٦م) .[١٠]

أمَا إبن مرزوق فينقل لنا وصفا دقيقا للإحترام والتقدير الكبيرين الذين كان يكنّهما السلطان أبو الحسن المريني للشيخ المتصوف أبو عبد الله الهزمي بقوله : « فلمّا وصل بموكبه إلى المسجد ...ثم لمّا دخل إلى الصحن والشيخ على حاله مستندا إلى القبلة ، وكان آيةً وصاحب كرامات ظاهرة وأحوال عجيبة ، أردت أن أشير على الشيخ بلقائه أنا وأبو الفضل بن أبي مدين ، فنهانا عن ذلك وقصده فقبلّ يده وجلس بين يديه وقبلّ الشيخ كذلك يديه تفعه الله وقال ياسيدي أوصني أفدني ، أدع لي ، فأوصاه وأفاده ودعا إليه ، فقال ياسيدي هاك تقبل منّا ماتلبسه بحسب البركة ممّا تخيره ، فقال يا أمير المسلمين هذه الجبّة عليّ نحو من عشرين عامّا وكأنهّا لم ينتصف عنها اللبّاس ، ومن البعيد أن يبقى من العمر قدرًا مامر بها وأنا اليوم في الثمانين » .[١١]

وقد إستمرت العناية بشؤون العلم والعلماء في العهد الوطاسي ، حتّى وإن لم يخلد سلاطينها مآثر في بناء منشآت علمية من مدارس ومساجد على غرار مافعله بنو مرين ، ومع ذلك فقد تقهقرت الحركة الفكرية بشكل واضح عما كانت عليه سابقًا[١٢] ، وقد تابع سلاطين بني وطّاس في عهدهم إختيار كبار العلماء والفقهاء من ذوي العلم والفضل ، كأبي عبد الله محمد بن القاضي المكناسي ، وعبد الرحمن بن محمد الزواري ، وخصصّوا عدّة كراسي للتدريس بفاس منها: كرسي إبن غازي لتدريس العمدة في الحديث ، ورسالة إبن زيدون ،وكرسي المدونة بالمدرسة المصباحية للإمام والفقيه أحمد بن يحي الونشريسي[١٣] أمّا كرسي التهذيب فقد خصصّ لعبد الواحد الونشريسي بعد وفاة والده أحمد بن يحي ، وكان له كرسي آخر للتفسير ومختصر إبن

الحاجب في الفقه ، بينمّا إستحدث كرسي البخاري من طرف السلطان أبو العباس أحمد إبن محمد الوطاسي في منتصف القرن التاسع بالقرويين ، وشغله أيضا عبد الواحد الونشريسي[١٤]

ثانيًا : المعاهد العلمية بحاضرة فاس

حرص المرينيون على تنشيط الحركة العلمية والثقافية في دولتهم ، من خلال إهتمامهم المتزايد ببناء المنشآت العلمية والدينية كالمساجد والمدارس ، التي سبقهم إليها الموحدون ، ولكن على نطاق واسع من خلال إستكمال لوازمها ومتطلباتها لإقامة الطلبة وتدريس العلوم ، على أنّ بعض هذه المنشآت التي لاتزال قائمة كآثار فنية أصيلة ، تشهد أكثر من أي شيئ آخر ، على روعة الفن المريني.[١٥]

١- **المدارس** : أشاذ في وصفها حسن الوزان[١٦] بقوله :« وفي فاس إحدى عشر مدرسة للطلاب جيدة البناء كثير
الزخرف بالزليج والخشب المنقوش، بعضها مبلط بالرخام ، وبعضها بالخزف المايورقي، وتحتوي كل مدرسة على عدة حجر، فيكل مدرسة مئة حجرة أو أكثر أو أقل، وكلها من تأسيس مختلف ملوك بني مرين . » ومن أهّم هذه المدارس :

أ / المدرسة اليعقوبية :تعد أول مدرسة بنيت في فاس من طرف سلاطين بني مرين ، وكان مؤسسها أبو يعقوب يوسف إبن عبد الحق (٦٥٦-٦٨٥ هـ / ١٢٥٨- ١٢٨٦ م) كان ذلك سنة (٦٧٥ هـ / ١٢٧٦ م)[١٧] ، ولمّا تمّ بناؤها عين لها السلطان المدرسّين ، وأجرى على طلبتها النفقة وزودها بخزانة كتب وردت إليه من الأندلس ، وجاءت مدرسة الصفّارين بسيطة في فنها المعماري حيث يحتوي صحنها في الوسط على بركة مستطيلة الشكل أصطفت على جوانبها غرف الطلبة ، وألحق بها مصلّى صغير تودى فيه الصلوات الخمس .[١٨]

ب / مدرسة الصهريج : إلى جانب مدرسة المدينة البيضاء أو فاس الجديد التي أسسّها السلطان أبو سعيد عثمان بن يعقوب (٧١٠ -٧٣٢هـ /١٣١٠ -١٣٣١ م)[١٩] ، فقد أسسّ كذلك مدرسة أخرى سنة (٧٢١هـ / ١٣٢١م) قرب مسجد الأندلس بفاس ، وقد أخت إسمها من

الصهريج المستطيل الموجود بفنائها ، وقد كلف بناؤها أكثر من مائة ألف دينار ، جددت لأول مرة على يد عبد الله الغالب السعدي سنة (٩٧٠هـ / ١٥٦٢م) .[٢٠]

ج / مدرسة العطّارين :

بنيت سنة (٧٢١هـ / ١٣٢١م) في عهد أبي سعيد عثمان على يد الشيخ عبد الله بن القاسم المزوار بفاس ، تمتاز بفنّها العمراني ونسق زخارفها خصوصًا في الصحن وبيت الصلاة، وهي من أجمل مدارس بني مرين .[٢١]

د / المدرسة المصباحية :

شيّدت من طرف السلطان أبي الحسن المريني سنة (٧٤٧هـ / ١٣٤٦م)على مقربة من جامع القرويين ، ومن مدرسة العطّارين[٢٢] ، تحمل إسم أول من درسّ بها من الأساتذة وهو أبوالضياء مصباح[٢٣] بن عبد الله اليلصوتي[٢٤] ويشار إليها أحيانًا بإسم المدرسة الرخامية بسبب وجود نافورة من الرخام الأبيض في وسط صحنها ، كان قد جلبها أبو الحسن من الميرة في الأندلس[٢٥] وتحتوي هذه المدرسة على مائة وسبعة عشرة غرفة، وتحتفظ بظلة جميلة من الخشب المنقوش، كما تمتاز بأناقة دهليزها ومدخل مصلاّها.[٢٦]

هـ / المدرسة البوعنّانية :

بدأ بنائها وتمّ في عهد السلطان أبي عنان المريني سنة (٧٥١-١٧٥٧ هـ/١٣٥٠-١٣٥٧م) على يد الناظر أبي الحسن بن أحمد بن الأشقر، وخصصّ لها أبو عنان أحباسًا عديدة منها حمّام ومنزل مجاور لها ، ورحى وفرن وإصطبلات ودكاكين ، وذلك للإنفاق على طلبتها وقومتها وأساتذتها ، ولها منارة في غاية الروعة ، وصنعت لها منجانة ذات ثلاثة عشر طاسًا ومقياسها حوالي أحد عشر مترًا [٢٧]، وقد أشاذ في وصفها جوليان بقوله : « ويفضى بابها بمصراعيه الخشبيين المصّفحين بالبرنز المتقن الصنع إلى مدخل ذي درجات حافاتها من الجزع والخزف ، وبجوانبه دكّات من الخزف المتعدد الألوان ، أمّا صحنها الفسيح المغطّى بالرخام الأبيض أو الوردي وبالجزع ، فقد كسيت جوانبه بالفسيفساء .»[٢٨]، وبعد الإنتهاء من

بنائها أمر السلطان أبو عنان أن تقام أمام مدرسته منجانة لمعرفة الأوقات ، قان بصناعتها أبو الحسن علي بن أحمد التلمساني .[٢٩] وقد كانت تقام صلاة الجمعة في هذه المدرسة التي فقدت أهميتها منذ عهد الوطّاسيين ، حيث حول ريع أوقافها لصالح الجهاد ، وأحتفظ الطلبة بحق السكن ، وكانوا من قبل مكفولين طعامًا وملبسًا .[٣٠]

٢- **المساجد** : إهتمّ المرينيون ببناء وتجديد مايزيد عن سبعمائة جامع ومسجد في مدينة فاس لوحدها ، وجعلها أماكناً للعبادة ومعاهدًا للطلبة والدارسين ، ويوجد من بين هذه الجوامع خمسون كبيرة حسنة البناء[٣١]، يصفها الوزّان بقوله : « مزدانة بأعمدة من الرخام أو غيره من الحجر الذي لايرى مثله في إيطاليا ، وتدّعم جميع الأعمدة عوارض مكسوّة بالزليج أو الخشب المنقوش بدقة ، وسقوف الجوانب مصنوعة على الطريقة الأروبية ، أي من ألواح ، والأرض مفروشة بالزليج ومغطاّة بحصر في غاية الجمال ...ولكل جامع صومعة يصعد إليها المكلفون بالأذان لإعلان أوقات الصلاة العادية »[٣٢]

ومن أشهر هذه المساجد : جامع القرويين الذي يعود بناؤه إلى سنة (٢٤٥هـ / ٨٥٩م) ليكون دار فقه وعلم ، وقد شهد على عهد السلطان أبو عنان تجديد المنجانة على وجه أتقن ممّا كانت عليه من قبل ، وأمر كذلك بعد صعوده صومعة الجامع أن يجعل بأعلى الصومعة المذكورة صارٍ وينشر فيه علم أبيض في أوقات صلاة النهار ، وفنار فيه سراج زاهر لأوقات صلاة الليل ليستدلّ بذلك من بعد عن المدينة ولم يسمع النداء ، وفي ذلك إعتناء بأمور الأوقات وبما يتعلق بها من وجوب الصلوات[٣٣] ومن الزيادات التي طالت المسجد إستحداث أبواب جديدة للجامع ، ومقصورة على المحراب ، وتسعة نوافد لزيادة الضوء في الجامع ، و ناقوس كبير وزنه عشرة قناطير علّق بالبلاط الأوسط ، وخزانة للكتب والمصاحف.[٣٤] وينقل لنا حسن الوزن[٣٥] وصفًا دقيقًا لهذا الجامع بقوله : « وفي المدينة جامع عظيم يدعى جامع القرويين ، وهو في غاية الكبر، يبلغ محيط دائرته نحو ميل ونصف ميل ، وله واحد وثلاثون باباً كلها كبيرة عالية ...والصومعة التي يؤذن عليها عالية جدًا كذلك ، ويحمل السقف ثمانية وثلاثون قوسًا طولاً ، وعشرون عرضًا ... وهناك ثريات عديدة من البرونز في كلّ واحدة منها ألف وخمسمائة مصباح ...وكراسي مختلفة الأشكال يدّرس عليها العديد من العلماء الأساتذة. »

وشيدّ المرينيون عدة مساجد بمدينة فاس إمتازت بالدقة وكثرة التوريقات والمقرنصات خصوصًا حول المحراب ، ومن هذه المساجد ، المسجد الجامع بفاس الجديد الذي بني سنة (٦٧٧ هـ / ١٢٧٨م) أيام السلطان أبي يوسف الذي صنع له منبرًا رائعًا ، وثريا تزن سبعة قناطير وخمسة عشر رطلاً وعدد كؤوسها مائة وسبعة وثمانون[٣٦]، أمّا المقصورة فقد تمّ بناؤها سنة (٦٧٩ هـ / ١٢٨٠م) ، ويتصل الجامع بالقصر الملكي بواسطة باب يؤدي إلى بيت الصلاة ، وقيل أنّ أبا يوسف أنفق في بناء الجامع وصنع الثريا ثمانية آلاف ديناراً ذهبيًا . [٣٧]

أمّا جامع الأندلس فيقع في العدوة الشرقية من فاس ، شرع في بنائه سنة (٢٤٥ هـ / ٨٥٩م) بالعدوة الأندلسية ، يصفه البكري[٣٨] بقوله : « وبها جامع حسن فيه ستة بلاطات طولها من الشرق إلى الغرب ...وله صحن فسيح فيه أصول جوز وعجر وساقية تعرف بساقية مصمودة غزيرة الماء . »

شهد هذا الجامع في عهد السلطان أبي يعقوب المريني جانبًا من الإصلاح سنة (٦٩٥ هـ / ١٢٩٥م) حيث أمر بجلب مياه له من نهر مصمودة ، وفي عهد حفيده أبي ثابت أعاد جلب الماء إلى المسجد من العين الموجودة بخارج باب الحديد ، وبناء ساقية بالجهة الغربية من جوفيه وذلك سنة (٧٠٧ هـ / ١٣٠٧م) ، وإدخال إصلاحات على صومعته على غرار جامع القرويين[٣٩]، ويضيف روجي لوترنو[٤٠] عددًا من المساجدالأخرى بقوله : « فقد بنوا في مطلع القرن الثامن ، الرابع عشر على الغالب ، مسجدًا في الشارع الرئيسي وهو المعروف بالجامع الأحمر ، وثمة مسجدان آخران بنيا في القرن التاسع ، الخامس عشر في فاس الجديد هما لالا غريبة ، ومسجد الزهرة ، وقد أضاف المرينيون إلى المدينة القديمة مسجدين مهمين هما: مسجد الورّاقين ومسجد أبي الحسن ، وكان كلالهما في عدوة القرويين . »

ثالثًا : ميادين الحركة الفكرية بحاضرة فاس

تبلور الفكر العلمي بحاضرة فاس فشمل مختلف ميادين المعرفة ، ووازن بين نتاج التجربة العلمية من جهة ، ونتاج الفكر النظري بما ينطوي عليه من عقل ونفس[٤١]، حيث تحولت المدينة إلى مجّمع علمي لعلماء المغرب الإسلامي كالقيروان وقرطبة ، ورحل العديد

منهم متخدين من فاس مقرًا لهم ، وقد أفادت رحلات هؤلاء العلماء ورجال الفكر أيمّا إفادة ، فوسعت أفقهم الفكري ، وساهمت في تفعّيل ميادين الحركة الفكرية .[٤٢]

أمّا عن أهم العلوم التي إزدهرت في فاس في العصر المريني فيمكن أن نقسمها إلى :

١- العلوم النقلية :

أ- علوم القرآن والتفسير : تداول القرّاء قراءات القرآن الكريم ورواياته السبعة حتّى صارات علمًا منفردًا تناقله

الناس بالمشرق والأندلس جيل بعد جيل[٤٣] وكانت العناية به بالغة في كل عصر حيث تخصصّ فيه كثير من العلماء الذين كانوا يلقّنون مبادئه في البداية للطلبة الدارسين ، في الكتاتيب القرآنية التي كان لا يتولاّها إلاّ كبار الحفّاظ المتحققين من تلك العلوم .[٤٤]

ومن أهمّ شيوخ القراءات إعتناءً برسم القرآن بحاضرة فاس : أبو عبد الله محمد بن محمد الأموي الشريشي الشهير بالخرّاز (ت ٧١٨ هـ / ١٣١٨ م) قال بشأنه الكتّاني[٤٥] :

« كان إمامًا في مقرئ نافع ، مقدمًا فيه لاغير ، إمامًا في الضبط ، عارفًا بعلله وأصوله... وله تآليف من أجّلها الرجز الموسوم " بمورد الضمآن في رسم أحرف القرآن " وتآليف في الرسم ... وشرح على " الحُصرّية " ، وشرح على" البرّية" ، مشهور معروف عند الناس ، وبه يقرؤنها ، وشرح على " العقيلة " » .

وقد أشاد إبن خلدون بتآليف الخرّاز سيّما تلك الأرجوزة في رسم حروف القرآن التي زاد فيها على كتاب المقنع لأبي عمر الداني بقوله[٤٦] : « فنظّم الخرّاز من المتأخرين بالمغرب أرجوزة أخرى زاد فيها على المقنع...أشتهرت بالمغرب وأق وصنّف الفقيه أبو الحسن علي بن سليمان الأنصاري (ت ٧٣٠ هـ / ١٣٢٩ م) تصانيفًا جليلة في علوم القراءات منها : "التجويد ومختصره "، و"المنابع في قراءة نافع "، و"ترتيب الأداء "، و"بيان الجمع بين الروايات في الإقراء" ، و"تبيين طبقات المدّ وترتيبها ".

ومن أشهر العلماء المفسرّين الذين إشتغلوا بالقرآن وتصدرّوا لتدريس هذا العلم بفاس أبو علي الشوشاوي « له كتاب الفوائد الجميلة على الآيات الجليلة ، ظمنه من علوم القرآن فنونا عديدة وجعله عشرين قسمًا ، كل قسم يحتوي على مسائل مختلفة ، فهو من المحاولات الطيبة لجمع علوم القرآن . »[٤٧]

وبرز من المفسّرين كذلك ، محمد بن محمد بن علي الشهير بإبن البقّال (ت٧٥٠ هـ/١٣٤٩ م) قال بشأنه التنبكتي[٤٨] : « إستوطن فاسا ، ودأب على القراءات وأستفرغ وسعه في المعقول سنين عديدة ، حتّى حصّل التعاليم وأتقنها ، ثمّ أخد أخيرًا في التفسير والفقه الخلافي ...وله أجوبة حسنة في التفسير والأصول »

أمّا إبن البنّا العددي (ت ٧٢١ هـ / ١٣٢١ م) فقد كانت له موضوعات كثيرة في التفسير ، وحاشية على الكشّاف للزمخشري ، بينما إنفرد محمد بن علي العابد الفاسي (ت٧٦٢ هـ/ ١٣٦٠ م) بكتابه الذي إختصر فيه التفسير للزمخشري وجرّده من الإعتزال[٤٩] .

ب- علم الحديث :« ومن علوم الحديث، النظر في الأسانيد ومعرفة مايجب العمل به من الأحاديث بوقوعه على السند الكامل الشروط، لأن العمل إنّما وجب بما يغلب الظّن صدقه من أخبار رسول الله صلّى الله عليه وسلّم... وهو بمعرفة روّاة الحديث بالعدالة والضبط ... وكذلك مراتب هؤلاء النقلة من الصحابة والتابعين وتفاوتهم في ذلك وتميّزهم فيه واحد واحد » [٥٠]

ونظرًا لمكانة علوم الحديث بإعتبارة مصدرًا من مصادر التشريع بعد القرآن الكريم ، فقد نال من العناية والإهتمام ما يؤكد حرص سلاطين بني مرين على النهوض بالعلوم الدينية وتشجيع العلماء على حفظه وتدوينه وتدريسه .

ومن أوائل علماء الحديث في العصر المريني ، محمد بن عمر إبن رشيد الفهري نزيل فاس (ت ٧٢١ هـ/ ١٣٢١ م) ، وصفه إبن خلدون[٥١] « بكبير مشيخة المغرب وسيد أهله شيخ المحدثين وقال غيره : كان إمامًا مشار إليه ، قدوة معتمدا عليه ، فريد عصره جلالة وعدالة ، وحفظًا وأدبًا ، وسميّا وهديا ، واسع الأسمعة ، عالي الإسناد ، صحيح النقل ، أصيل الضبط ، تام العناية بالصناعة الحديثية ، قيمًا عليها ، بصيرًا بها ، محققًا فيها ، ذاكرًا للرجال .... » .

ويذكر إبن فرحون [٥٢] أنّه ألف فوائد جليلة منها كتابه الموسوم بـ : « " ملء العيبة فيما جمع بطول الغيبة في الوجهتين الكريمتين إلى مكة وطيبة " » وهو في أربعة أسفار ، وقال بعضهم في ستةّ جمع فيه من الفوائد الحديثية والفرائد الأدبية كل غريبة وعجيبة .

ومن مؤلفّاته كذلك "إفادة النصيح في شرح الصحيح "، و" ترجمات التراجم في إبداء وجه مناسبات تراجم صحيح البخاري" ، و"الستر الأبين في السند المعلمن والمحاكمة بين الإمامين البخاري ومسلم " . [٥٣]

وبرز من علماء الحديث الحافظ الحجّة عبد المهيمن الحضرمي السبتي (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨ م) ذكره الزركشي بقوله : « كان إمامًا في علم الحديث ، وحجةّ في حفظه ورجاله ، له أربعينيات في الحديث ، جلس للتدريس بتونس أيام الدولة المرينية بمجلس السلطان أبي الحسن . » [٥٤]

وكان محمد بن عبد الرزّاق الجزّولي من علماء الحديث ، الذين تألّقوا في مجلس السلطان أبي عنان المريني ، حيث كان هذا السلطان يأخد عنه الحديث . [٥٥]

ج – علم الفقه :

« الفقه هو معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلّفين بالوجوب والحذر ، والنّدب والكراهة والإباحة ، وهو متلقّاة من الكتاب والسنّة وما نصبه الشارع لمعرفتها من الأدلّة فإذا إستخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها فقه . » [٥٦]

إرتبط تطور علم الفقه وإزدهاره في العصر المريني ردًا على ماتعرض له فقهاء المالكية من قبل سلاطين الدولة الموحدية ، الذين صادروا معظم كتب ومؤلفات المذهب المالكي وأحرقوها ، وعند قيام الدولة المرينية كان سلوك سلاطينها ينبئ بعناية خاصة للمذهب المالكي وعلمائه ، ويتضح ذلك في كثرة مجالسهم العلمية لدراسة مؤلفات المالكية ، والتشجيع على النسخ والتأليف وإسناد الوظائف السامية لكبار الفقهاء في مجالات عدة كالقضاء والخطابة والإفتاء وإكرامهم والإغداق عليهم . [٥٧]

ومن أشهر العلماء المشتغلين بعلم الفقه في العصر المريني أبو العبّاس أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن الجذامي الشهير بالقبّاب (ت ٧٧٨ هـ / ١٣٧٦ م) ، كان أحد صدور الفقهاء في عصره ، من حفاظ مذهب مالك ، وأئمة الدين والورع [٥٨] أشاذ في وصفه إبن الخطيب [٥٩] بقوله :« طالب ، فقيه ، مدرك ، جيد النظر ، سديد الفهم ، حظرالدرس بين يدي السلطان » من مؤلفاته : "الفتاوى المجموعة" ، نقل الونشريسي عنها في المعيار ، وله" إختصار أحكام النظر" لإبن العطّاف ، و"شرح على بيوع إبن جماعة" . [٦٠]

ويذكر إبن القنفذ الفقيه : أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الحق الشهير بالصغير(ت ٧١٩ هـ / ١٣١٩ م) أحد كبار الفقهاء والمفتين بالمغرب [٦١] يصفه مخلوف [٦٢] بقوله : « االشيخ الإمام العمدة الهمام ، الجامع بين العلم والعمل ... إليه المفزع في المشكلات والفتوى ، حفظ كتاب الفصيح في ليلة واحدة ... وله فتاوى قيدها عنه تلامذته وأبرزت تأليفًا. »

أمّا الشيخ الفقيه الحافظ أبوزيد عبد الرحمن بن عفّان الجزّولي (ت ٧٤١ هـ / ١٣٤٠ م)،فقد إشتهر بدروسه الفقهية وكثرة طلاّبه ، تنسب له شروح الرسالة ، وهي من تقييدات الطلبة بمجلسه .[٦٣] ومن أبرز علماء الفقه في العصر الوطّاسي : عبد الواحد الونشريسي (ت ٩٥٥ هـ / ١٥٤٨ م) قال بشأنه صاحب الدوحة[٦٤] : « وكان له مجلس لايحضره إلاّ الفحول من الفقهاء كإبن الزقّاق واليسيتني وغيرهما » من تصانيفه: منضومات في الفقه كشهادات السماع، ومفوقات البيوع الفاسدة ، وموانع الإقالة ، وله أيضا الفتاوى المحررّة ، وشرح للبخاري غير تام ، والنور المقتبس من مذهب مالك إبن أنس . [٦٥]

وممّا يلفت النظر في هذا العصر حسب ماذهبت إليه إحدى الدراسات [٦٦] كثرة التأليف في الفروع ، وإعتماد ظاهرة الشروح والمختصرات ، ولم يعد ثمة ميل إلى الإجتهاد إلاّ في إطار محدود ، بل تحدد الإتجاه إلى تأويل أقوال مالك وأصحابه ، والتبسيط في شرح المتون تدريسًا وتأليفًا ، فكثرت المؤلفات في الفرائض ، وتعددت الشروح الفقهية وبوجه خاص على الرسالة ومتن خليل ، وكترت التقييدات على المدونّة وكراسي تدريسها .

لقد لقيت هذه الظاهرة معارضةً شديدة من قبل كبار الفقهاء في الدولة المرينية ، ومن هؤلاء أبو العبّاس أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن الجذامي الشهير بالقبّاب (ت ٧٧٨ هـ / ١٣٧٦ م) ، يروى عنه أنه كان يقول : أنّ إبن بشير ، وإبن شاس ، وإبن الحاجب أفسدو الفقه، بما ألّفوه من مختصرات في هذا العلم . (٦٧)

ولمّا حج إبن القبّاب إجتمع بإبن عرفة في تونس فأطلعه إبن عرفة على مختصره الفقهي، وقد شرع في تأليفه ، فقال له القبّاب ماصنعت شيئًا ، فقال ولم ؟ فقال إنّه لايفهمه المبتدئ ، ولا يحتاج إليه المنتهي ، فتغير وجه إبن عرفة حينئذ ، قالوا وكان هذا هو السبب الحامل له على بسط العبارة في مختصره ، ومثل القبّاب في ذلك اليزناسني الفقيه الكبير ، صاحب إبن شاس إستشاره في وضع مختصره الجواهر فأشار عليه ألاّ يفعل، فلم يتقيد إبن شاس بنصيحته ومضى في تأليفه مختصره.(٦٨)

– العلوم الأدبية :

أ – علم اللغة والأدب :يقصد بها علوم اللسان العربي « وأركانه أربعة و هي اللغة والنحو والبيان والأدب، ومعرفتها ضرورية عل أهل الشريعة ، إذ مآخذ الأحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنّة وهي بلغة العرب ... فلابد من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن أراد الشريعة ، وهي تتفاوت أهميتها في التوفية بمقصود الكلام . » (٦٩)

إشتهرت دراسة علوم اللسان العربي بجميع أصنافها في عصر بني مرين ، وبلغت أوجّها من خلال إسهامات علمائها ، وكثرة مؤلفاتهم حسب ما أشارت إليه كتب التراجم .

ومن هؤلاء العلماء أبو الحسن علي بن محمد الشهير بإبن برّي (ت٧٣١ هـ / ١٣٣٠ م) « أحد المهرة في العلوم العربية والقراءات ، كان كاتبًا بليغًا لغويًا عروضياً متفننًا في كثير من العلوم وله خط بارع ونظم جيد ، وهو صاحب "الدرر اللوامع في قراءة نافع" » (٧٠) ولي رئاسة ديوان الإنشاء للسلطان أبو سعيد المريني ، وأصبح كاتبًا لولده أبي الحسن ، وأستاذاً له ومن مؤلفاته في هذا العلم كتاب الكافي في علم القوافي . (٧١)

أمّا أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي الشهير بإبن البقّال (ت ٧٥٠ هـ / ١٣٤٩ م) فقد ذكره التنبكتي بقوله : « كان من العلماء المحققين المحصلين المشاركين ... له حظ وافر من اللغة والأدب والبيان والعروض والشعر والكتابة » [٧٢] ومن مصنفات العلامة أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله الشهير بإبن الحاج النميري ، "التورية على حروف المعجم "أكثره مروى بالأسانيد ، ورجز صغير سمّاه "مثالث القوانين في التورية والإستخدام والتضمين" . [٧٣]

وتشير كتب التراجم إلى جمع من العلماء ممن برزوا في علم النحو من خلال مؤلفاتهم ، ويعتبر أبو عبد الله محمد بن محمد بن داوود الصنهاجي الفاسي ، الشهير بإبن آجروم(ت ٧٢٣ هـ / ١٣٢٣ م)، أشهر علماء النحو في عصر بني مرين وهو صاحب المقدمة المشهورة بالأجرومية وقد وصفه شراح مقدمته كالمكودي والراعي وغيرهما بالإمامة في النحو. [٧٤]

ومن النحاة الذين تألقوا في حاضرة فاس أبو زيد عبد الرحمن بن علي بن صالح المكّودي الفاسي (ت ٨٠٧ هـ / ١٤٠٤ م) ، إمامًا في النحو واللغة والعروض وسائر فنون الأدب، درّس كتاب سيبويه بمدرسة العطّارين وهو آخر من درّسه بفاس ، وبعده صار العمل على ألفية إبن مالك التي وضع هو عليها شرحه المشهور[٧٥] ، ومن كتبه غير" شرح الألفية"" شرح الأجرومية "، و"شرح المقصور والممدود" لإبن مالك، و"البسط والتعريف في علم التصريف "، و"نظم المعرّب من الألفاظ " ، و"المقصورة في مدح النبيّ صلّى الله عليه وسلّم "، نحو ثلاثمائة بيت . [٧٦]

ب – علم التاريخ والسير :

كان المرينيون من أهّم الدول رغبة في تسجيل سيرة سلاطينهم و تاريخ دولتهم ، وتمجيد مآثرها لذلك كثرت كتب التاريخ والسير في عهدهم وكان لها عظيم الشأن في التأريخ للمغرب وغيره من الدول المجاورة ، فكان كتاب : " الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس "[٧٧] لمؤلفه إبن أبي زرع الفاسي (ت ٧٤١ هـ / ١٣٤١ م) ، من أهم ما صنّف في تاريخ وسيرة ملوك المغرب ، كتبه إبن أبي زرع للسلطان المريني أبي سعيد عثمان(٧١٠ – ٧٣١ هـ/ ١٣١٠–١٣٣١ م) ، يتناول الكتاب تاريخ المغرب الأقصى منذ

عهد الأدارسة إلى سنة (٧٢٦ هـ / ١٣٢٦ م) ، بيد أنّ مؤلفه أفرد حيزًا كبيرًا منه للحديث عن تاريخ مدينة فاس والدولة المرينية ، ويشتمل الكتاب على معطيات مفيدة ، حول إهتمام السلاطين بني مرين بالحياة الدينية والفكرية وتعظيم الأولياء والصلحاء والعلماء والشرفاء، وإقبالهم على تأسيس المنشآت الدينية والعلمية والإجتماعية داخل المغرب الأقصى وخارجه ، ومايزيد في أهمية المعلومات التي سجلها إبن أبي زرع ، معاصرته للدولة المرينية.

أمّا كتاب : " المسند الصحيح الحسن ، في محاسن ومآثر مولانا أبي الحسن "[٧٨] لمؤلفه إبن مرزوق أبو عبد الله محمد الخطيب (ت ٧٨٢ هـ / ١٣٨٠ م) فقد أرّخ فيه صاحبه لتاريخ دولة بني مرين من خلال سيرة السلطان أبي الحسن(٧٣١– ٧٥٢هـ/١٣٣١–١٣٥١ م) ومناقب أعماله ، فالكتاب يعدّ من أهّم المصادر التي واكبت الدراسة .

وقدم أبو عبد الله إبن عبد الملك محمد بن محمد الأنصاري المراكشي (ت٧٠٣هـ/١٣٠٣م)[٧٩] مؤلّفًا في التراجم غاية في الأهمية سمّاه : " الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلّة "[٨٠] وهو مجموعة ضخمة من التراجم يتابع فيها صاحبها ما وضعه صاحب كتاب "الموصول والصلة "، ويتضمن كتاب " الذيل والتكملة " تراجم علماء وملوك وشخصيات مختلفة ، وهوعبارة عن ثمانية أسفار .

أمّا كتاب " أزهار الرياض في أخبار عياض "[٨١] لمؤلفه شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت ١٠٤١ هـ/ ١٦٣١ م) ، فقد ألفه صاحبه بمدينة فاس بين عامي (١٠١٣ – ١٠٢٧ هـ/ ١٦٠٥–١٦١٢ م) ، التي إتخدها مقرًا له بعد أن غادر تلمسان لأسباب سياسية ، ويبدو أنّ سبب تأليفه لهذا الكتاب رغبة أهل تلمسان في التعريف بالقاضي عياض المشهور ، ويتضمن تراجم كثيرة لأعلام الفكر بالمغرب والأندلس ، في العصر المريني – الزياني وماتلاهما من عصور ، وهو في خمسة أجزاء.

٢– العلوم العقلية :

أ – علم الرياضيات :برز في العلوم العددية : أحمد بن محمد بن عثمان المعروف بأبي العبّاس إبن البنّا العددي المراكشي (ت ٧٢١ هـ /١٣٢١ م) [٨٢] كان حاسبًا عددياً لا ينافسه في هذا

العلم أحد ، كما أقرّ له بذلك فطاحل أهل العلم من معاصريه، وشهد له إبن خلدون بجودة كتبه في علم الحساب.(٨٣) « كان يقصده الداني والقاصي ليأخذا عنه و ينهلا من علمه الغزير، حتّى صار إسمه مقرون بالرياضيات نظرًا لتفوقه فيها ، وتبحّره في فروعها ، وتفننه في تطبيقها وتهتكه في تطويرها » (٨٤) حضي بتقدير ملوك بني مرين وعنايتهم ، فأستقدموه إلى فاس مرارًا ، من مؤلفاته :

كتاب " تلخيص أعمال الحساب " وهو من أبرزمؤلفاته ، وقد عدّ بمثابة منهجا للتعليم في المغرب لبساطته وغناء مادته و"كتاب التقدير والتفسير في قواعد التكسير" ، و"مسائل في العددالتام والناقص "،" ورسالة في الجذور الصم وجمعها وطرحها " و " بحث في الأعداد الصحيحة "، و (٨٥) هذا إلى جانب كتب أخرى منها : " الجبر والمقابلة " و" المناخ في تعديل الكواكب " و " الفصول في الفرائض " (٨٦) وتلخيص على كتاب " الحصار الصغير" سمّاه إبن البنّا " رفع الحجاب " ساق فيه المؤلف كتاب" فقه الحساب" ، لإبن المنعم ، و"الكامل " للأحدب ، ولخصّ براهينها وغيرها عن إصطلاح الحروف فيها إلى علل معنوية ظاهرة ، وهي سرّ الإشارة بالحروف وزبدتها . (٨٧)

أمّا محمد بن علي بن عبد الله بن محمد إبن الحاج (ت ٧١٤هـ / ١٣١٤ م) (٨٨) فهو من الوافدين إلى فاس من إشبيلية ، برع في الحيل الهندسية ، ونقل الأجرام ، ورفع الأثقال ، ونظرًا لما يتمتع به من علم وبراعة في الرياضيات والهندسة ، فقد أشرف على بناء دولاب بمدينة فاس منفسح القطر ، بعيد المدى ، ملين المركز والمحيط ، متعدد الأكواب ، خفي الحركة ، وبن أيضًا دارًا للصناعة الحربية بسلا . (٨٩)

ومن أعلام الرياضيات كذلك : أبو زيد عبد الرحمن الهزميري قال بشأنه إبن القاضي :« كثيرًا ماكان يزوره تلميذه إبن البنا ، إذا عنت له مشكلة أوحل به أمر جار التخلص منه ... كان عارفًا بالحساب والتعاليم والهندسة . » (٩٠)

ب – علم الفلك (الهيئة والتنجيم) :

وهو علم ينظر في حركات الكواكب الثابتة والمتحركة والمتحيزة ، ويستدل بكيفيات تلك الحركات على أشكال وأوضاع للأفلاك لزمت عنها لهذه الحركات المحسوسة بطرق هندسية.(٩١)

وقد إشتهر أحمد بن محمد بن عثمان المعروف بأبي العبّاس إبن البنّا العددي المراكشي (ت ٧٢١ هـ / ١٣٢١ م) كعالم في الجغرافية الفلكية ، حيث يذكر إبن شاطر : أن إبن البنا العددي كان ينظر في أحكام النجوم وعلم الهيئة وشهد له أبو زيد الهزميري بقوله : « مكنك الله من علوم السماء كما مكنك من علوم الأرض ». (٩٢)

وبرز عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن عطية المديوني (ت ٨١٦هـ / ١٤١٣ م) كعالم متفوق في علم الفلك ، حيث جمع بين العديد من المهارات ، من العمل بآلة الإسطرلاب وبالصفيحة الشكازية وبربع الدائرة والعمل بالحساب والجدول (٩٣) وله مؤلفات جغرافية ذكرها الكتاني بقوله : « وألف رحمه الله تآليف عديدة منها : " تنبيه الأنام على مايحدث في أيام العام " ... ونظم في التوقيت سماه " روضة الأزهار في علم وقت الليل والنهار" ، و"مختصر الإقتطاف "، جمع فيه العمل بآلة الإسطرلاب وبالصفيحة الشكازية... » (٩٤)

زادت مؤلفاته عن العشرة نذكر منها : " المستطيل والسيارة في تعديل الشارة "، " المناخ في تعديل الكواكب" ،" المناخ في رؤية الأهلة " ، "المناخ في تركيب الأرياح "،" أحكام النجوم"، " المداخ الثلاثة إلى صناعة الأحكام النجومية "، " مقالة في علم الإسطرلاب " . (٩٥)

وإلى جانب هذه المؤلفات ، له عدة قوانين منها : " قانون معرفة الأوقات بالحساب "، " قانون فصول السنة "،" قانون ترحيل الشمس "، "عمل الطلسمات " ، " الزجر والفال والكهانة"، " كلام على خط الرمل ". (٩٦)

ج – علم المنطق والفلسفة :

إشتهر من علماء فاس والمغرب الأقصى في علم الفلسفة والمنطق :إبن البنا العددي (ت ٧٢١ هـ/ ١٣٢١ م)، فقد ألف في الفلسفة : " مراسم الطريقة في علم الحقيقة "، وله " شرح عليه " ، و" المقالات الأربع " ، أمّا في علم المنطق فله : " الكليات في المنطق " ، و" شرح عليه " ، و" كتاب في القوانين" ، و" الأصول والمقدمات " . [٩٧] كما وضع محمد بن سعيد بن محمد النجار الفاسي (ت ٧٧٨ هـ / ١٣٧٦ م) " مختنصرًا لمقدمات إبن رشد "، و" مختصرًا لكتاب الحدود" للشيرازي ، و" الأسئلة والأجوبة " . [٩٨] ويذكر إبن الخطيب[٩٩] أحمد بن محمد بن شعيب الكرياني بقوله : « والغالب عليه العلوم الفلسفية » أمّا محمد بن محمد المقري فقد كان أحد العلماء المشاركين في الأصلين و الجدل والمنطق .[١٠٠]

د – علم الطب :

يراد بعلم الطب تلك الصناعة التي تنظر في بدن الإنسان من حيث المرض والصحّة ، فيحاول صاحبها حفظ الصحة وبرء المرض بالأدوية والأغدية بعد أن يتبين المرض الذي يخص كل عضو من أعضاء البدن وأسباب تلك الأمراض التي تنشأ عنها وما يجب لكل مرض من الأدوية. [١٠١]

لقي هذا العلم إهتمام بنومرين وبنووطّاس من بعدهم ، من خلال بناء المارستانات لعلاج المرضى وتتبع حالتهم الصحية ، وكان الطب النظري موضع عناية عددٍ كبير من الأدباء والفقهاء نظرًا لرعاية الدولة لهذا الجانب من العلوم التطبيقية ، وذلك بتخصيص كراسي لتدريس الطب النظري في جامع القرويين بفاس وفي باقي المعاهد التعليمية الأخرى. [١٠٢] ومن مشاهير العلماء المشتغلين بالطب : أبو العباس أحمد بن محمد بن يوسف الجزنائي الفاسي المعروف بإبن شعيب (ت٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م)، كان من أهل المعرفة بصناعة الطب والنظر في التعاليم ، وتهتك في علم الكيمياء[١٠٣] تتلمذ على يد يعقوب الدرّاس بتونس ، فأخذ عنه الطب والهيئة ، وسافر إلى غرناطة ، وهناك قام بدراسة ضخمة عن تغيير الأدوية المنفردة التي يتشوف الطبيب

إليها [١٠٤] ، ومنهم أيضًا محمد بن يحي بن عبد الله بن محمد بن أحمد العزفي (ت ٧٦٨ هـ / ١٣٦٦ م) ، كان له إلمام كبير بالطب وأشتهر بكتابه : " نظر في الطب ودون فيه "[١٠٥]

ومن النساء الطبيبات : عائشة بنت الجيّار قرأت الطب على صهرها الشيخ أبو عبد الله الشريسي ونبغت فيه ، وكانت إمرأة عارفة بالطب والعقاقير ، ومايرجع إلى ذلك [١٠٦] ، ومن الأطباء الذين برزوا في علم التشريح والجراحة علي إبن غالب الإدريسي الفاسي (ت ٨٠١ هـ / ١٣٩٨ م) نشأ تحت رعاية أمه فعلمته صناعة الحجامة ثم درس الطب حتى مهر فيه وأشتهر وأخد يباشر العمليات الجراحية فكان موفقًا فيها . [١٠٧]

ومن المؤلفات الطبية الشهيرة التي برزت عصري بني مرين وبني وطّاس : " كتاب عمل من طب لمن حب لمؤلف الشهير لسان الدين إبن الخطيب ، وهو تصنيف كبير يتناول فيه أنواع الأمراض المختلفة مع ذكر أسباب كل مرض وأعراضه وطرق علاجه وتحوطاته ، ومختلف أعضاء الجسم وطرق العناية بها وقد ألف إبن الخطيب هذا الكتاب أثناء إقامته الأولى بفاس سنة (ت ٧٦١ هـ / ١٣٥٩ م) ، وله كذلك رسالة في الطب عنوانها : "الوصول إلى حفظ الصحة في الفصول "[١٠٨] وله المسائل الطبية ، الرجز في عمل الترياق، اليوسفي في الطب ، رسالة تكوين الجنين ، رجز في الطب والأغذية ، البيطرة والبيزرة ، مقنعة السائل عن المرض الهائل ، وهي رسالة كتبها عن الطاعون الذي حلّ بالمغرب سنة (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م).[١٠٩]

هذا لى جانب كتاب آخر عبارة عن" أرجوزة في العلاقات الجنسية والأمراض السرية" من تأليف أبي الحسن علي العنسي المراكشي [١١٠] وتأليف لعلي بن عبد الله بن هيدور التادلي الفاسي(ت ٨٢٦ هـ / ١٤٢٢ م) عبارة عن رسالة سمّاها " المقامة الحكيمة في الأمراض الوبائية "، وقد ألفها صاحبها في هذا العصر الذي إجتاح فيه الطاعون المغرب وغيره من الأقطار . [١١١]

الخاتمة

شهدت حاضرة فاسخلال العهد المريني تطورا علميا وازدهارا فكريا بارزا أتاح للعقلية المغربية مزيدا من النضج والرقي بفضل الجهود الخاصة لفئة الحكام والفقهاء في بناء وتفعيل دور المؤسسات التعليمية بجميع أنماطها كمعاهد علمية وثقافية هامة في بلاد المغرب من حيث كونها موضعا للتدريس وإقامه الطلبة ، وأماكنا للعبادة والذكر واجتماع الفقهاء والمتصوفة، يؤطرها كبار العلماء والأساتذة ويسهر على تمويلها العام والخاص من الحكام والمحكومين ، إذ لم يضع سلاطين بنو مرين أمام العلماء الوافدين من مدن المغرب وغيرهم من فقهاء الأندلس وأدبائها المهاجرين إلى أرض فاس أية عوائق تعوق إقامتهم في ربوع الدولة ، بل لقد إنظم كثير من هؤلاء العلماء إلى مجالس السلاطين العلمية ، وشغل بعضهم مناصب هامة في الدولة مما ساهم في تأطير الحركة الفكرية برصيد هائل من الثقافة المغربية الأندلسية .

استطاع بنو مرين بهذه الدعائم تنمية الحركة الفكرية وتعميق جذورها في بلاد المغرب، حيث أصبحت فاس حاضرة للعلم والثقافة زيادة على كونها عاصمة سياسية للدولة .

المراجع والحواشي

(١) الكتاني أبو عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس (ت ١٣٥٤هـ ، ١٩٣٥ م) ، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس ، تحقيق عبد الله الكامل ، الدار البيضاء، دار الثقافة ، ٢٠٠٤ ، د.ط ، ٣/ ١٦٨

(٢) عبد الله كنون ، النبوغ المغربي في الأدب العربي ، بيروت ، دار الكتاب، ١٩٦١ ، ط٢ ، ١ / ١٨٥

(٣) م.ن ، ١ / ١٨٨

(٤)إبن مرزوق أبو عبد الله محمد التلمساني (ت ٧٨١ هـ / ١٣٧٩ م)، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن ، تحقيق ماريا خيسوس بيغيرا ، ، الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ١٩٨١ ، ط١ / ٢٦٠

(٥) الكتّاني ، سلوة الأنفاس ، م.س ، ٣ / ٢٢٥

(٦) إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، الدار البيضاء ، دار الرشاد ، ط١ ، ١٩٧٨، ٢ ، كنون ، م.س ، ١ / ١٨٥

(٧) محمد عيسى الحريري ، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني ، الكويت ، دار القلم، ١٩٨٧ ، ط٢/ ٣٣٩- ٣٤٠

(٨) م.ن / ٣٥٥

(٩) الكتّاني ، م.س ، ٢ / ١٤٠- ١٤١

(١٠) إبن عيشون الشراط أبو عبد الله محمد (١١٠٩ هـ / ١٦٩٧ م) ، الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس ، تحقيق زهراء النظام ،الدار البيضاء ، مطبعة النجاح ، ١٩٩٧ ، ط١ / ٤٩ - ٥٤

(١١)الحريري ،م .س / ٣٥٧

(١٢) حركات ، م.س ، ٢ / ٢٥٤ -٢٥٥

(١٣) المنجور أحمد بن علي بن عبد الرحمن (ت ٩٩٥ هـ ، ١٠٨٧ م) ، فهرس أحمد المنجور ، تحقيق محمد حجي ، الرباط ، دار المغرب ، ١٩٧٦ ،ط ١ / ٥٣

(١٤) حركات ، م.س ، ٢ / ٢٥٦

(١٥) الحريري ،م.س / ٣٢٤ ، حركات ، م.س ، ٢ / ١٥٥

(١٦) الوزان الحسن بن محمد ، وصف إفريقيا ، ترجمة محمد حجي و محمد الأخضر ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ،١٩٨٣ ، ط٢، ٢ / ٢٢٥

(١٧) الجزنائي أبو الحسن علي علي (من أهل القرن الثامن الهجري) ، جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس ، تحقيق عبد الوهاب إبن منصور ، الرباط ، ، المطبعة الملكية ، ط ٢ ، ١٩٩١ / ٨٢

(١٨) شارل أندري جوليان ، تاريخ إفريقيا الشمالية ، ترجمة محمد مزالي ، البشير بن سلامة ، تونس ، الدار التونسية للنشر، ١٩٧٨ ، ط ١ ، ٢ / ٢٤١ ، الحريري ،م.س / ٣٢٤

(١٩) الحريري ،م.س / ٣٢٤

(٢٠) حركات ، م.س ، ٢ / ١٥٧

(٢١) م.ن ، ٢ / ١٥٧

(٢٢) روجيه لوترنو ، فاس في عصر بني مرين ، ترجمة نيقولا زيادة ، بيروت، مؤسسة فرانكلين، ١٩٦٢ ، ط ١ / ٤٣ ، الجزنائي ، م.س/ ٣٧- ٣٨

(٢٣) الكتّاني ، م.س ، ٢ / ٥٦- ٥٧

(٢٤) أنظر ترجمته في : الونشريسي ، ألف سنة من الوفيات ، تحقيق محمد حجي، الرباط، دار المغرب، ١٩٧٦ ، د.ط /١١٩ ، التنبكتي ، م.س/ ٦٠٨- ٦٠٩،الكتّاني ، سلوة الأنفاس ، م.س ، ٢ / ٥٦- ٥٧

(٢٥) الجزنائي ، م.س/ ٣٧ ، لوترنو ، م.س ، ص.ن

(٢٦) جوليان ، م.س ، ٢ / ٢٤١

(٢٧)حركات ، م.ن ، ٢ / ١٥٧

(٢٨) جوليان ، م.س ، ٢ / ٢٤١

(٢٩) الكتّاني ، سلوة الأنفاس ، م.س ، ٣ / ٢٢٥

(٣٠)حركات ، م.ن ، ٢ / ١٥٨

(٣١) الوزان ، م.س ، ٢ / ٢٢٣

(٣٢) م.ن ، ص.ن

(٣٣) الجزنائي ، م.س/ ٤٥ – ٥٢

(٣٤) م.ن / ٧٥ – ٧٦

(٣٥) الوزان ، م.س ، ٢ / ٢٢٤

(٣٦)حركات ، م.س ، ٢ / ١٥٩

(٣٧)الحريري ،م.س / ٣٢٢

(٣٨) البكري ، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، بغداد ، مكتبة المثنى، د.ت ، د.ط ، د.ت / ١١٦

(٣٩) الجزنائي ، م.س/ ٩٢ – ٩٤

(٤٠) لوترنو ، م.س/ ٤٦

(٤١) عبد العزيز عبد الله ، الفكر العلمي ومنهجية البحث عن علماء المغرب، مجلّة الدارة ، العدد ٣، ١٩٨٠/ ٦١

(٤٢)حركات ، م.س ، ٢ / ١٦٥

(٤٣) إبن خلدون عبد الرحمن بن محمد(ت ٨٠٨ هـ/ ١٤٠٥ م)، المقدمة ، مراجعة سهيل زكار، لبنان، دار الفكر، ٢٠٠٠، د.ط/ ٥٥١

(٤٤) الأهواني أحمد فؤاد ، التربية في الإسلام ، مصر ، ١٩٦٨، دار المعارف ، د.ط/ ٦٥ – ٧١

(٤٥) الكتّاني ، سلوة الأنفاس ، م.س ، ٢ / ١١٤– ١٤١

(٤٦) إبن خلدون ، م.س / ٥٥٣

(٤٧) كنون ، م.ن ، ١ / ١٩٤

(٤٨) التبكتي ، م.س / ٣٨٦- ٣٨٧

(٤٩)كنون ، م.س ، ١ / ١٩٤

(٥٠) إبن خلدون ، م.س / ٥٥٧

(٥١) الكتّاني ، سلوة الأنفاس ، م.س ، ١٩١

(٥٢)إبن فرحون ، الديباج المذهب ، م.س / ٤٠١

(٥٣) الكتّاني ، سلوة الأنفاس ، م.س ، ١٩

(٥٤) مخلوف، م.س ، ١ / ٢١٧

(٥٥) الزركشي ، م.س / ٨٦

(٥٦)الكتّاني ، م.س ، ٣ / ٣٠٢

(٥٧) إبن خلدون ، م.س / ٥٦٣

(٥٨) كنون ، م.س ، ١ / ٢٠٥

(٦٠) إبن الخطيب لسان الدين (٧٧٦ هـ / ١٣٧٤ م) ، الإحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق محمد عبد الله عنان ، القاهرة ، مكتبة الخانجي، ١٩٧٣ ، ط ٢ ، ١ / ١٨٧

(٦١) إبن القنفذ أبو العباس أحمد بن الخطيب ،كتاب الوفيات ، تحقيق عادل نويهض ، بيروت ،،دار الأفاق، ١٩٨٣ ، د.ط ،/ ٣٧٠ ، كنون ، م.س ، ١ / ٢٠٥

(٦٢) مخلوف ، م .س ، ١ / ٢١٥

(٦٣) إبن القاضى أحمد المكناسى ، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس ، الرباط ، دار المنصور، ١٩٧٣ ، ط١ ، ١ / ٧٠ ، التبكتي ، م.س / ٢٤٤

(٦٤) الشفشاوني محمد بن عسكر الحسني ، دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر ، تحقيق محمد حجي ، الرباط ، دار الغرب للتأليف والترجمة ، ١٩٧٧ ، ط٢ / ٥٤

(٦٥)الشفشاوني ، م .ن ، ص.ن ، مخلوف ، م .س ، ١ / ٢١٥

(٦٦)حركات ، م.س ، ٢ / ١٦٩ - ١٧٠

(٦٧) كنون ، م.س ، ١ / ١٩٢

(٦٨) م.ن ، ١ / ١٩٢– ١٩٣

(٦٩) كنون ، م.ن ١ / ١٩٣

(٧٠) إبن خلدون ، المقدمة ، م.س / ٧٥٣

(٧١) كنون ، م.س ، ١ / ١٩٢

(٧٢) البغدادي إسماعيل باشا بن محمد أمين ، هدية العارفين ، تحقبق محمد شرف الدين و رفعت بيلكله الكليسي ، ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي، د.ت ، د.ت ، ١ / ٧١٦ ، عمر رضا كحالة ، معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، د.ت ، ط١ ، ٢ / ٥١٨

(٧٣) التبكتي أحمد بابا ، م.س / ٣٨٦– ٣٨٧

(٧٤) المقري شهابالدين أحمد بن محمد (ت ١٠٤١هـ/ ١٦٣١ م) ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق إحسان عباس ،بيروت، دار صادر ، د.ط ، ١٩٨٨ ،٧/ ١٠٨– ١٠٩، إبن الخطيب، الإحاطة،م.س ،١/ ١٤٦– ١٤٧

(٧٥) السيوطي جلال الدين عبد الرحمن (٩١١ هـ / ١٥٠٥ م) ، بغية الوعاة في طبقات اللغوين والنحاة ، تحقيق محمد أبو الفضل ،بيروت ، دار الكتاب ، ط ٢، د.ت ، ١ / ٢٣٨ ، الكتّاني ، سلوة الأنفاس ، م.س ، ٢ / ١١١ ، ١١٤

(٧٦)كنون ، م.س ، ١ / ٢١٠

(٧٧) التبكتي ، م.س / ٢٥٠ ، مخلوف ، م .س ، ١ / ٢٤٩

(٧٨) سمّاه إبن سودة " المسند الصحيح الحسن ، في أحاديث السلطان أبي الحسن " أنظر : إبن سودة عبد السلام ، دليل مؤرخ المغرب الأقصى، بيروت ، دار الفكر للطباعة ، ١٩٩٧، ط١ /١١١ ، وورد في كتاب : عبد الحميد حاجيات ، م .س/ ١٦٨ ، بعنوان " المسند الصحيح الحسن ، في أخبار المولى أبي الحسن" وطبع بتحقيق ماريا خيسوس ، الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ١٩٨١، بعنوان : " المسند الصحيح الحسن ، في محاسن ومآثر مولانا أبي الحسن "

(٧٩) أنظر ترجمته في : النباهي أبو الحسن علي بن محمد المالقي (ت ق ٠٨ هـ / ١٤ م) ، تاريخ قضاة الأندلس ، المعروف بإسم المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا ، تحقيق لجنة إحياء التراث

العرب، بيروت ، دار الأفاق الجديدة، ١٩٨٣ ، ط ٥ / ١٣٠ ، الونشريسي ، ألف سنة من الوفيات ، م.س / ٦٨

(٨٠) المراكشي أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري (ت ٧٠٣ هـ / ١٣٠٣ م) ، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلّة ، تحقيق إحسان عباس و محمد بن شريفة (ثمانية أسفار)، بيروت، دار الثقافة ، ١٩٨٤

(٨١) المقري شهاب الدين (ت ٧٠٣ هـ / ١٣٠٣ م) ، أزهار الرياض في أخبار عياض ، تحقيق مصطفى السقّى و إبراهيم الأبياري وآخرون، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٣٩ – ١٩٤٠

(٨٢) أنظر ترجمته في : إبن حجر العسقلاني شهاب الدين أحمد بن علي (ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، بيروت، دار الجيل، ١٩٩٣ ، ١ / ٢٧٨ ، مخلوف ، م.س ، ١ / ٢١٦

(٨٣) كنون ، م.س ، ١ / ١٩٩

(٨٤) إبن شقرون ، م.س / ٢١٨

(٨٥) إبن القاضي ، جذوة الإقتباس ، م.س ، ٢ / ٤١٠

(٨٦) حركات ، م.س ، ٢ / ١٨٤

(٨٧) إبن خلدون ، المقدمة ، م.س / ٦٣٦

(٨٨) أنظر ترجمته في : العسقلاني ، الدرر الكامنة ، م.س ، ٤ / ٦٩ ، خير الدين الزركلي ، الأعلام تراجم لأشهر الرجال والنساء منالعرب والمستعربين والمستشرقين، بيروت ، دار العلم للملايين ، ٢٠٠٢ ، ط١٥ ، ٦ / ٢٨٤

(٨٩) إبن الخطيب ،م.س ، ٢ / ١٤٠

(٩٠) إبن القاضي ، جذوة الإقتباس ، م.س ، ٢ / ٤١٠

(٩١) إبن القاضي ، م.ن ، ٢ / ٤١٠ ، إبن شقرون ، م.س / ٢١٩

(٩٢) إبن خلدون ، المقدمة ، م.س / ٦٤١

(٩٣) التنبكتي ، م.س ، م.س / ٨٤ ، ، مخلوف ، م.س ، ١ / ٢١٦

(٩٤) إبن القاضي ، م.ن ، ٢ / ٤١٠ ، إبن شقرون ، م.س / ٢١٩

(٩٥) الكتّاني ، سلوة الأنفاس ، م.س ، ٢ / ١٥٧ – ١٥٨

(٩٦) التنبكتي ، م.س / ٨٧

(٩٧) م.ن / ٨٦ – ٨٧

(٩٨) الكتّاني ، سلوة الأنفاس ، م.س ، ٣ / ٢٧٨

(٩٩) إبن الخطيب ، الإحاطة ، م.س ، ١ / ٢٧٢

(١٠٠) إبن مريم أبو عبد الله محمد بن أحمد (كان حيا سنة ١٠١٤ هـ / ١٦٠٥ م) ، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان ، بمراجعة محمد بن أبي شنب الجزائر ، المطبعة الثعالبية ، ١٩٠٨ ، د.ط ، / ١٥٥ ، الكتّاني ، سلوة الأنفاس ، م.س ، ٣ / ٢٧٠

(١٠١) إبن خلدون ، المقدمة ، م.س / ٦٥٠

(١٠٢) حركات ، م.س ، ٢ / ١٨٢

(١٠٣) كنون ، م.س ، ١ / ٢٢٧

(١٠٤) إبن الخطيب ، الإحاطة ، م.س ، ١ / ٢٧٢ – ٢٧٧

(١٠٥) الكتّاني ، سلوة الأنفاس، م.س، ٣ / ٢٧٧ ، إبن شقرون ، م.س / ٢٢٧ ، الحريري ،م.س / ٣٤٩

(١٠٦) كنون ، م.س ، ١ / ٢١٥

(١٠٧) إبن شقرون ، م.س / ٢٢٨

(١٠٨) إبن الخطيب ، الإحاطة ، م.س ، ١ / ٣١ – ٦٦

(١٠٩)حركات ، م.س ، ٢ / ١٨٣

(١١٠) إبن شقرون ، م.س ، ص.ن

(١١١) م.ن / ٢٢٩.